AL-ZAHRĀ' الزهراء

Jurnal Studi Islam Komprehensif

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية

- الإبداع المنهجي للعقل المسلم دراسة للتوجيه الإسلام لمناهج العلوم الاجتماعية
- الإسلام والعلم والتعلم
- العلوم الطبيعية بين ضرورة التأصيل وتحديات العولمة
- اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم
- الأمانة في الحكم في ضوء القرآن
- من موجبات التوحيد ترك ما ينافيه

Al-Zahrā'	Vol. 2	No. 2	Hal. 90-180	2003	ISSN 1412-226 x

ISSN 1412-226 x

AL-ZAHRÃ' الزهراء

Jurnal Studi Islam Komprehensif

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية

Staf Ahli

Agil Mahdali (Jami'ah Islamiyah Hukumiyah Insaniyah Malaysia)
Ja'far Abd. Salam (Al-Azhar University)
Bashiri Abdel Moety Sayyid Darwish (Al-Azhar University)
Huzaemah Tahido Yanggo (UIN Syarif Hidayatullah Jakarta)
Azman Islmail (IAIN Ar-Raniri Aceh)

Penanggung Jawab
Masri Elmahsyar Bidin

Dewan Redaksi
Syaerozi Dimyati
Ahmad Dardiri
Ahmad Sayuti Nasution
Amany Burhanuddin Umar Lubis
Sahabuddin S.
Rusli Hasbi

Sekretaris Redaksi
Hamka Hasan
Willy Oktaviano

Editor Bahasa Arab/Inggris
Shalahuddin An-Nadwi

Al-Zahrã adalah media yang diterbitkan 2 edisi setiap tahun dalam bahasa Arab untuk peningkatan wawasan bidang Studi Islam. Redaksi menerima tulisan berupa artikel, laporan penelitian, atau tinjauan buku. Isi tulisan merupakan tanggung jawab penulis.

Alamat Redaksi
Fakultas Dirasat Islamiyah UIN Syarif Hidayatullah Jakarta
Telp & Faks. (+62-21) 7491820
Email :fdiazhar@yahoo.com

Al-Zahra	Vol. 2	No. 2	Hal. 90-180	2003	ISSN 1412-226x

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد زاد من إحساسنا بالمسؤولية التي حملناها على عاتقنا، يوم قررت كلية الدراسات الإسلامية التابعة لجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية إصدار مجلة "الزهراء" المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية، حيث لقي عددها الأوّل ترحيبا حارا من قرّائها الكرام من العلماء والباحثين والدارسين والدبلوماسيين الذين يهتمّون بالدراسات الإسلامية والعربية سواء كانوا من داخل البلد أو من خارجه وعلى رأس من أدلى بثنائه على المجلة، الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، رئيس جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، والدكتورة منى أباظة، الأستاذة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وأعضاء سفارة جمهورية مصر العربية بجاكرتا الذين تفضّلوا بزيارة الكلية، فإليهم نوّجه شكرنا الجزيل وتقديرنا العميق، ونعتبر هذا الترحاب الحار زاد لنا على مواصلة السعي لتكون المجلة بمقدار ما يعلقون عليها من أمال.

ووفاء بسياسة المجلة التي يتركّز اهتمامها على القضايا الإسلامية جاء هذا العدد الثاني يحتوي على مجموعة من الأبحاث والدراسات الإسلامية والعربية التي يكتبها المتخصصون من الأساتذة والباحثين. وإليهم نخصّ شكرنا ونعترف لهم بأن هذه المجلة ثمرة مجهودنا جميعا، وإن كنا نقوم بتحريرها إلا أننا لا نحتكرها فهذه منبرنا جميعا نسهم ونتعاون في تطويرها.

ونتطلع واثقين إلى أن يكون هذا العدد دافعا للعلماء والباحثين المهتمّين بالدراسات الإسلامية والعربية للكتابة في الأعداد المقبلة من مجلتنا الحبيبة، فنقول "دمتم على الخير".

د. أحمد سيوطي أنصاري ناسوتيون

DAFTAR ISI — محتويات العدد

الإبداع المنهجي للعقل المسلم
دراسة للتوجيه الإسلام لمناهج العلوم الاجتماعية ١٠٧-٩٠
دكتور نبيل السمالوطى

Kreatifitas Metodologi Nalar Islam **90-107**
Dr. Nabil Samalluthy, MA

الإسلام والعلم والتعلم ١١٥-١٠٨
بقلم الدكتور/ أحمد عبد الرحيم

Islam, Ilmu, dan Pengajaran **108-115**
Dr. Ahmad Abd. Rahim

العلوم الطبيعية بين ضرورة التأصيل وتحديات العولمة ١٢٧-١١٦
أ.د. علي الطاهر شرف الدين

Ilmu Alam antara Revitalisasi dan Globalisasi **116-127**
Prof. Dr. Ali Thahir Syarifuddin

اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم ١٥٥-١٢٨
د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص

Perhatian Islam terhadap Ilmu dan Ulama; Sebuah Studi Al-Quran **128-155**
Dr. Abd. Rahman Jamil bin Abd. Rahman Qishash

الأمانة في الحكم في ضوء القرآن ١٧٢-١٥٦
أحمددين أحمد طهار

Amanat Pelaksanaan Hukum menurut Al-Quran **156-172**
Ahmaddin Ahmad Tohar, Lc, MA

من موجبات التوحيد ترك ما ينافيه ١٨٠-١٧٣
بقلم / حسن بصري سال

Konsekuensi Tauhid kepada Allah swt adalah Meningglkan Larangan-Nya **173-180**
Hasan Basri Salim, Lc, MA

اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم*

د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص**

Abstrak

Tidak dapat disangkal bahwa Islam sejak awal telah memberikan tempat yang tinggi bagi ilmu dan orang yang berilmu. Penulis dalam makalahnya ingin membuktikan pernyataan tersebut dengan memberikan pemaparan sebagai berikut: konsep tentang ilmu dan macam-macamnya, posisi ilmu dalam Islam, posisi ulama dalam Islam, kaedah-kaedah ilmiah yang dikehendaki oleh Islam, dan beberapa tokoh-tokoh Islam.

Kata kunci: *al-'ilmu: ilmu, al-'ulama: ulama*

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدِّين، والصلاة والسلام على رسول ربّ العالمين. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد؛

فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق الخلق أجمعين أمرهم سبحانه بعمارة الأرض

---

* مقالة مقدمة للمؤتمر الدولي "الإسلام والمنهج العلمي" بجامعة شريف هجداية بجاكرتا ٢٣ – ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣ م

** أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم*

د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص**

Abstrak

Tidak dapat disangkal bahwa Islam sejak awal telah memberikan tempat yang tinggi bagi ilmu dan orang yang berilmu. Penulis dalam makalahnya ingin membuktikan pernyataan tersebut dengan memberikan pemaparan sebagai berikut: konsep tentang ilmu dan macam-macamnya, posisi ilmu dalam Islam, posisi ulama dalam Islam, kaedah-kaedah ilmiah yang dikehendaki oleh Islam, dan beberapa tokoh-tokoh Islam.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدِّين، والصلاة والسلام على رسول ربّ العالمين. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد؛

فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق الخلق أجمعين أمرهم سبحانه بعمارة الأرض

---

* مقالة مقدمة للمؤتمر الدولي "الإسلام والمنهج العلمي" بجامعة شريف هجداية بجاكرتا ٢٣ – ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣ م

** أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

والعمل فيها، والاستجابة لهدى الله العظيم سبحانه: ﴿قل هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١). وقال العليم سبحانه: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعًا فإمّا يأتينكم مني هدًى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة: ٨٣).

ومّما تعمر به الأرض من قبل الإنسان العلم ونشره وتبليغه وتعليمه والاهتمام والعناية به، وبأهله العلماء الذين يفيدون البشرية، ويقودون الأمّة، ويهتدي بهم العامي – بعد فضل الله تعالى ومنته – إلى سبيل النور، والخروج من أنفاق الظلمات.

ومن هنا وهناك جاء اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء، وقد توسع القرآن الكريم في تناول هذه القضيّة بكل أبعادها وتشعباتها مشيرًا إلى طرق التعلم الصحيحة، دالاً على آثار العلم ونتائجه، مهتمًا بالعلماء وأفضالهم على الأمّة جمعاء.

وقدمتُ يراعي ومددتُ ذراعي، وتناولتُ قلمي وتطاولتُ إلى كلمي كي أسطر بحثًا مشاركة مني في هذا الباب بعنوان: (اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم) أنوي به الإسهام في مؤتمر (الإسلام والمنهج العلمي) الذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلاميّة بالاشتراك مع جامعة شريف هداية الله الإسلاميّة الحكوميّة بجاكرتا بـــ (إندونيسيا).

– **أهميّة الموضوع:**

ولعل أهميّة الموضوع تبرز من خلال المحاور التالية:

أ- يشرُف عنوان هذا البحث وموضوعه لتعلقه بالكتاب الكريم، والقرآن الحكيم، كما شرف لتعلقه بالعلم والعلماء. (ويشرف الشيء بشرف متعلقه).

ب- نحن بحاجة إلى الدراسة المتخصصة في هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم خصوصًا، حيث تناوله الكثير من جهات ومراجع عدّة، ولم يتركز حديث أكثرهم على آيات القرآن المجيد.

ج- بعد تأمّل وتدبر كثير من الآيات الحكيمة وُجد أن بعض موضوعات العلم واهتمام الإسلام به وبأهله ما زالت بكرًا لم تنـــزل بعدُ إلى واقع الأمّة الإسلاميّة.

د- اعتنى الباحث بمبحث خاص بعنوان: (قواعد علميّة اعتنى بها الإسلام)، وهو يجمع أطرافًا عدّة، وفروعًا متعددة في العلم وشؤونه الخاصة والعامّة، والأمّة المسلمة بحاجة إلى هذه القواعد العلميّة حيث حصل فيها خلط بين مفاهيم صحيحة وسقيمة، وتقديم ما حقّه التأخير أحيانًا، بناء على عناية بعض أفراد الأمّة بجزء على حساب الأجزاء الرئيسة.

– **خطة البحث:**

اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وهي على النحو التالي:

- مقدمة (وهي هذه التي بين أيديكم).
- المبحث الأول: ماهية العلم وأنواعه.
- المبحث الثاني: منـــزلة العلم وموقعه في الإسلام.
- المبحث الثالث: مكانة العلماء في الإسلام.
- المبحث الرابع: قواعد علميّة اعتنى بها الإسلام.
- المبحث الخامس: نماذج من أعلام علماء الإسلام.
- خاتمة.

أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم الحيّ القيّوم الذي لا إله إلا هو أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم سبحانه، وأن يزيدنا علمًا نافعًا، وأن يعيذنا من العلم غير النافع. إنّه سميعٌ مجيبٌ على كلّ شيء قدير.

وصلى الله عليه وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وآله وصحبه وذريته، والله تعالى أعلم.

المبحث الأول
ماهية العلم وأنواعه

- **ماهية العلم:**

في لغة العرب علمتُ الشيء أعلمُه علْمًا: عرفتُه. وعالمتُ الرجل فعَلَمْتُه أعْلُمُه (بالضم): غلبتُه بالعِلْم. ورجلٌ علاّمة: أي عالم جدًا، والهاء للمبالغة، كأنّهم يريدون به داهيّة.

واستعلمني الخبر فأعلمتُه إيّاه.

وعلّمتُه الشيء فتعلّم، وليس التشديد ههنا للتكثير، ويقالُ أيضًا: تعلّم في موضع اعْلم، وتعلمتُ أن فلانًا خارجٌ بمنـــزلة عَلِمْتُ.

وتعالَمه الجميع: أي عَلَمُوه [١].

وقد اختلف الناس في العلم هل يُدرك بالحدّ أم لا؟ فمن منع تحديده اختلفوا، فقال بعضهم: لا يُحد لعسره. وقال آخرون: لا يُحد ليسره [٢].

وحدّ العلم عند العلماء والمتكلمين في هذا المعنى: ما استيقنتَه وتبينتَه، وكل من استيقن شيئا وتبيّنه فقد علمه، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء، وقال به تقليدًا لم يعلمه [٣].

فالعلم: إدراك الشيء بحقيقته [٤].

والعلم قد يُتجوّز به عن الظنّ، ودليله قوله تعالى ذكره: ﴿فإن علمتوهنّ مؤمنات﴾ (الممتحنة: ١٠)، كما يُستعار الظنّ للعلم، كقوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربّهم﴾ (البقرة: ٤٦) [٥].

والعِلْم اسم مشتركٌ قد يطلق على:

١- الإبصار والإحساس.
٢- أو التخيّل.
٣- أو الظنّ.
٤- أو على علم الله تعالى.
٥- أو على إدارك العقل [٦].

وجاء لفظ العلم في القرآن الكريم على ثلاث أوجه:

١- بمعنى الرؤية: قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ (محمّد: ٣١)، وقد علم سبحانه منهم قبل أن يجاهدوا مَنْ المجاهد منهم، فهو علم رؤية.

٢- العلم بالشيء والظهور عليه: قال تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون﴾ (النحل: ١٩).

٣- بمعنى الأذان: قال الله سبحانه: ﴿فاعلموا أنّما أنزل بعلم الله﴾ (هود: ١٤) [٧].

- أنواع العلم وأقسامه:

لقد تنوعت فهوم أهل العلم، وتعددت وجهات نظرهم نحو أنواع العلم وتقسيماته، وأحاول هنا أن أذكر جزءا لا بأس به من هذه الأنواع والتقسيمات.

أولاً: تقسيمه على نوعين بحسب تعريفه:

١- إدراك ذات الشيء، وهو المتعدي إلى مفعول واحد نحو قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (الأنفال: ٦٠).

٢- الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، وهو المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله تعالى ذكره: ﴿فإن علمتموهنّ مؤمنات﴾ (الممتحنة: ١٠).

ثانيًا: والعلم يقسم بتقسيم آخر إلى قسمين:

١- نظري: وهو ما إذا عُلم فقد كمل، مثل العلم بموجودات العالَم.
٢- عملي: وهو ما لا يتم إلاّ بأن يعمل، كالعلم بالعبادات.

ثالثًا: وهناك من يقسمه إلى قسمين آخرين بحسب مصدره:

١- عقلي.
٢- سمعي [٨].

رابعًا: ومنهم من قسّمه بحسب فائدته إلى قسمين:

١- ما هو نافع: كالعلم بالقرآن الكريم وفنونه، والحديث الشريف وأنواعه، وعلوم العربية العمليّة، وعلم الطب، وعلم تأويل الأحلام وغير ذلك ممّا ينفع.

٢- ما هو ضارّ: كعلم الفلسفة والسحر وأحكام النجوم وغيرها ممّا يضرّ [٩].

خامسًا: وهناك تقسيم آخر للعلم بحسب حكمه إلى قسمين أيضًا:

١- ما هو شرعيّ: وهو ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطبّ، ولا يبلغ بالسماع كاللغة وأنواعها.

٢- وما ليس بشرعيّ منه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- محمود: وهو ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا؛ كالطب والحساب.

ب- مذموم: كعلم السحر والطلسمات، والشعبذة والتلبيسات.

ج- مباح: كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

والعلوم الشرعيّة محمودة كلها، وهي على أربعة أضرب:

١- الأصول: وهي الكتاب والسنة والإجماع وآثار الصحابة.

٢- الفروع: ما يفهم من هذه الأصول بالاستنباط ونحوه.

٣- المقدمات: وهي التي تجري منه مجرى الآلات؛ كعلم اللغة والنحو، فإنّهما آلة لعلم الكتاب والسنة.

٤- المتممات: كتعلم القراءات ومخارج الحروف ونحو ذلك [١٠].

سادسًا: والعلوم تنقسم إلى قسمين بحسب أصلها:

١- ضروري: وهو ما لا يمكن العالم أن يشكك فيه نفسَه، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر.

٢- مكتسب: وهو ما كان طريقة الاستدلال والنظر، ومنه الخفي والجلي، فما قرب منه من العلوم الضروريّة كان أجلى، وما بعُد منها كان أخفى.

سابعًا: والعلوم بحسب وجودها عند جميع أهل الديانات ثلاثة:

١- علم أعلى: وهو علم الدين.

٢- علم أسفل: وهو تدريب الجوارح في الأعمال والطاعات؛ كالفروسية والخياطة.

٣- علم أوسط: وهو معرفة علوم الدنيا؛ كعلم الطب والهندسة [١١].

ثامنًا: وأختم بتقسيم أخير للعلم بحسب الأصول القطعيّة والظنيّة:

١- صُلب العلم: وهو الأصل والمعتمد، والذي عليه مدار الطلب، وهو ما كان قطعيًا أو راجعًا إلى أصل قطعي.

٢- مُلَح العلم: وهو ما لم يكن قطعيًا ولا راجعًا إلى أصل قطعي، بل ظني.

٣- ما ليس من صُلبه ولا مُلَحه: وهو ما لم يرجع إلى أصل قطعي، ولا ظني، وإنّما شأنه أن يكرّ على أصل أو على غيره بالإبطال ممّا صحّ كونه من العلوم المعتبرة [١٢].

المبحث الثاني
منـــزلة العلم وموقعه من الإسلام

لقد شاء الله تعالى واختار أن يكون للعلم منـــزلة عالية من ارفع درجات الدين، فانظر -يا رعاك الله تعالى- إلى هذه النصوص المتضافرة من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله المصطفى الأمين عليه الصلاة والتسليم التي تبيّن هذه المنـــزلة، وتوضح هذا الموقع للعلم – جعلنا الله تعالى وإيّاكم من أهله -.

– نصوص قرآنيّة في بيان منـــزلة العلم:

١- قال الله تعالى: ﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط﴾ (آل عمران: ١٨). (فبدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنّى بالملائكة، وثلّث بأهل العلم) [١٣]. وكل هذا ليستشهدهم على وحدانيته سبحانه وتعالى.

٢- وقال الله الواحد الأحد سبحانه: ﴿أفمن يعلم أنّما أنزل إليك من ربّك هو الحقّ كمن هو أعمى إنّما يتذكر أولو الألباب﴾ (الرعد: ١٩)، (فالعمى وحده هو الذي ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة التي لا تخفى إلا على أعمى، والناس إزاء هذه الحقيقة الكبيرة صنفان: مبصرون فهم يعلمون، وعُمْيٌ فهم لا يعلمون، والعمى عمى البصيرة) [١٤].

٣- قال الله العظيم سبحانه: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩)، (والمراد بالعلم هنا: ما أدّى إلى معرفة الله، ونجاة العبد من سخطه) [١٥].

– أحاديث نبويّة في بيان منـــزلة العلم:

١- عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [١٦].
(قال بعض أهل العلم: إنّما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القول التوحيد، وما يكون العاقل مؤمنًا به) [١٧].

٢- عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد به خيرًا يفقهه في الدين» [١٨].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل له به طريقًا إلى الجنّة» [١٩].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاثة أشياء: من صدقة جاريّة، أو علم ينتفع به بعده، أو ولد صالح يدعو له» [٢٠].
قال بعض الحكماء: (علم الرجل ولدُه المخلّد) [٢١].

– آثار عن السلفَ الصالح رحمه الله تعالى في بيان منـــزلة العلم:

١- قال مُطرِّف بن عبد الله الشِّخِّير [٢٢] رحمه الله تعالى: (فضل العلم أفضل من

فضل العبادة) [٢٣].

٢- قال قتادة بن دعامة السدوسي [٢٤] رحمه الله تعالى: (باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصلاح من بعده أفضلُ من عبادة حَوْل) [٢٥].

٣- قال الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى: (ما عُبِدَ الله بمثل الفقه) [٢٦].

٤- قال سفيان بن سعيد الثوريّ رحمه الله تعالى: (ما من عمل أفضلُ من طلب العلم إذا صحّت النيّة) [٢٧].

المبحث الثالث
مكانة العلماء في الإسلام

بعد حديثنا السابق عن منـــزلة العلم وموقعه في الإسلام من خلال بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبويّة وآثار السلف الصالح رحمهم الله تعالى أستعرض وإيّاكم هنا شيئا من النصوص والأحاديث والآثار أيضًا التي توضح مكانة العلماء وأهل العلم وطلبته والمنتسبين إليه في الإسلام.

- نصوص قرآنيّة في بيان مكانة العلماء:

١- يقول الله الأحد سبحانه: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: (ما خصّ الله العلماء في شيء من القرآن ما خصّهم في هذه الآية، فضّل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا و لم يؤتوا العلم) [٢٨].

٢- قال ربّنا الودود سبحانه: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨).

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (الذين يعلمون أنّ الله على كل شيء قدير) [٢٩].

٣- قال العزيز الحكيم سبحانه: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون﴾ (العنكبوت: ٤٣)، والعقل هنا بمعنى الفهم؛ أي لا يفهم مغزاها إلا الذين كمُلت عقولهم، فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام [٣٠].

- أحاديث نبويّة في بيان مكانة العلماء:

١- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «الناس معادن، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» [٣١].

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحقّ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعلّمها» [٣٢].

٣- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله، وما والاه، أو مُعلّم أو

متعلّم» (٣٣).

٤- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (٣٤).

- آثار السلف الصالح رحمهم الله تعالى في بيان مكانة العلماء:

١- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (موت العالم ثُلمة في الإسلام، لا يسده شيء ما اختلف الليل والنهار) (٣٥).

٢- قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أتدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا: لا. قال: ذهاب العلماء) (٣٦).

٣- قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (الدنيا كلّها ظلمة إلاّ مجالس العلماء) (٣٧).

٤- قال الشافعيّ: (إن لم يكن الفقهاء أولياء الله؛ فما لله وليٌّ) (٣٨).

المبحث الرابع
قواعد علميّة اعتنى بها الإسلام

في هذا المبحث سأتعرض بإذن الله تعالى لما يُسمّى بالقواعد والأصول والضوابط والفوائد الجامعة، التي تنبني عليها كثير من التفريعات، وتنضم تحتها أكثر الجزئيات. وقد ركّز القرآن الحكيم النظرة حول قواعد وأصول علميّة تحتاجها الأمّة بأفرادها وجماعاتها. وأحاول هنا أن أذكر كمًّا هائلاً من هذه القواعد والأصول العلميّة بعد الاستعانة بالله تعالى.

القاعدة الأولى:

أنّ الله تعالى ذكره هو العليم الحقيقيّ الذي وسع علمه كل شيء، واختصّ بخصائص لا يعلمها إلاّ هو سبحانه.

ومن النصوص القرآنية على هذه القاعدة:

١- قال الله العليم الخبير سبحانه: ﴿وكفى بالله عليمًا﴾ (النساء: ٧٠).

٢- وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إنّ ربّك هو الخلاّق العليم﴾ (الحجر: ٨٦).

٣- وقال الله تعالى وشأنه: ﴿بلى وهو الخلاّق العليم﴾ (يس: ٨١).

٤- وقال الله القدير سبحانه: ﴿وسع ربنا كل شيء علمًا﴾ (الأعراف: ٨٩).

٥- وقال الله العظيم سبحانه: ﴿وأنّ الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

٦- وقال الربّ تعالى ذكره: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو﴾ (الأنعام: ٥٩).

٧- وقال الفتاح العليم سبحانه: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينـــزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس

بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (لقمان: ٣٤). فبدأ سبحانة الآية بالعلم وختمها بالعلم.

٨- وقال العليم الحكيم سبحانه: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله} (آل عمران: ٧).

٩- وأثنى الله تعالى على نفسه ومدحها أثناء سرد قصة أصحاب الكهف بأنه ﴿أعلم بهم﴾ (الكهف: ٢١)، و﴿أعلم بعدتهم﴾ (الكهف: ٢٢)، و﴿أعلم بما لبثوا﴾ (الكهف: ٢٦).

وقد وصف الله نفسه سبحانه بأنه:

١- عالم في (١٥) موضعًا من الكتاب الكريم.

٢- وعليم في (١٦٢) موضعًا من القرآن.

٣- وعلام في (٤) مواضع.

٤- وأنه وسع كل شيء علمًا في (٤) مواضع أيضًا.

٥- وأنه أعلم في (٤٨) موضعًا.

القاعدة الثانية:

أنّ الأصل في الإنسان الجهل وعدم العلم حتى يمنّ الله تعالى بنعمة العلم على من يشاء.

ومن النصوص القرآنيّة على هذه القاعدة:

١- قال الله العظيم سبحانه: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

٢- وقال علام الغيوب سبحانه: ﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ٥).

٣- وقال الله القدير سبحانه: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل: ٧٨).

٤- وقال الله سبحانه: ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: ١٥١).

٥- وقال الله الواحد الصمد سبحانه: ﴿وعُلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ (الأنعام: ٩١).

٦- وقال الله تعالى ذكره: ﴿الرحمن. علّم القرآن. خلق الإنسان. علّمه البيان﴾ (الرحمن: ١-٤).

القاعدة الثالثة:

أبرز القرآن الكريم أنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعلماء وصالحين وُصِفوا بالعلم ليُقتدى بهم فيه.

ومن النصوص القرآنية عليها:

١- قال الله العليم سبحانه: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ (البقرة: ٣١).

٢- وقال الله سبحانه في قصة نوح: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف: ٦٢).

٣- وقال الله الحكيم العليم سبحانه في وصف يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وإنّه لذو علم لما علمناه﴾ (يوسف عليه السلام: ٦٨).

٤- وقال تعالى شأنه في وصف يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ (يوسف عليه السلام: ٢٢).

٥- وقال الله العظيم سبحانه في وصف داود عليه الصلاة والسلام: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء﴾ (البقرة: ٢٥١).

٦- وقال الله المجيد سبحانه في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنّا مسلمين﴾ (النمل: ٤٢).

٧- وقال الله سبحانه في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أبيه: ﴿يا أبت إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًا﴾ (مريم: ٤٣).

٨- ووصف الله تعالى ذكره إسحاق عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه: ﴿إنّا نبشرك بغلام عليم﴾ (الحجر: ٥٣).

٩- وقال الله تعالى في قصة لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿ولوطًا آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ (الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ٧٤).

١٠- وقال الله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ (القصص: ١٤).

١١- وقال الله تعالى في الخضر عليه الصلاة والسلام: ﴿وعلّمناه من لدُنا علمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

١٢- وقال الله تعالى في وصف طالوت: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة: ٢٤٧).

١٣- وقال الله سبحانه وتعالى في وصف بعض جلساء نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وقال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ (النمل: ٤٠).

١٤- وقال الله تعالى شأنه في وصف بعض أصحاب النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم في معرض الحديث عن المنافقين: ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ (محمد صلى الله عليه وسلم: ١٦).

١٥- وقال الله سبحانه في علماء بني إسرائيل: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ (الشعراء: ١٩٧).

القاعدة الرابعة:

كما أبرز القرآن الكريم فضل العلم والعلماء ومكانتهما في مواضع متفرقة من القرآن سبق الحديث عن بعضها في المبحث الثاني والثالث.

القاعدة الخامسة:

قسّم القرآن الحكيم العلم إلى قسمين رئيسين:

١- علم نافع (مشروع).

٢- علم غير نافع (ضار) وهو غير مشروع.

ومن النصوص القرآنية على هذه القاعدة:

١- قال الله القويّ العزيز سبحانه: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يُعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارّين به من أحد إلاّ بإذن الله ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ (البقرة: ١٠٢).

٢- وقال الله الحكيم سبحانه: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحقّ يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس عليه الصلاة والسلام: ٥).

٣- وقال الله تعالى ذكره في وصف نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ (يس: ٦٩).

٤- وقال الله سبحانه وتعالى في وصف سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين﴾ (النمل: ١٦).

٥- وقال الله الشكور سبحانه وتعالى في وصفه أيضًا عليه الصلاة والسلام: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ (الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ٨٠).

٦- وقال الله تعالى شأنه: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون} (الروم: ٦، ٧).

٧- وقال ربنا العليم سبحانه: ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم﴾ (يونس عليه الصلاة والسلام:٧٩).

٨- وقال الله تعالى ذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على لسان السجين الناجي: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس

لعلهم يعلمون﴾ (يوسف عليه الصلاة والسلام: ٤٦).

٩- وقال الله تعالى في نفس القصة على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (يوسف عليه الصلاة والسلام: ٥٥).

١٠- وقال الله سبحانه وتعالى في آخر مطاف القصّة على لسانه أيضًا عليه الصلاة والسلام: ﴿ربّ قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض﴾ (يوسف: ١٠١).

القاعدة السادسة:

عدّد القرآن المبين طرائق ووسائل العلم والتعلم، وبيّن ما يعين عليها، وجعلها فيما يلي:

١- تقوى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى ذكره: ﴿واتقوا الله ويعلّمكم الله﴾ (البقرة: ٢٨٢). وقال الله تعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا﴾ في ستة مواضع من سورة البقرة: (١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٣).

٢- الدعاء، قال الله سبحانه وتعالى آمرًا نبيَّه عليه الصلاة والسلام: ﴿وقل ربِّ زدني علمًا﴾ (طه: ١١٤).

٣- كثرة الاستغفار، قال الله سبحانه: ﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (محمد: ١٩).

٤- تعلّم القرآن الكريم، قال الله الواحد الأحد سبحانه: ﴿الرحمن. علّم القرآن﴾ (الرحمن: ١-٢).

٥- الحفظ، قال الله تعالى في وصف القرآن الكريم ﴿بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ (العنكبوت: ٤٩).

٦- الفهم، قال الله تبارك وتعالى في وصف سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿ففهمناها سليمان﴾ (الأنبياء: ٧٩).

٧- الاستنباط، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (النساء: ٨٣).

٨- السؤال، قال الله تبارك في آيتين من كتابه: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣)، و(الأنبياء: ٧).

٩- ردّ العلم إلى العليم أو العالم، مع التصريح بعدم العلم إن لم يعلم:

قال الله تعالى ذكره: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (النساء: ٨٣).

وقالت الملائكة في قصة آدم عليهم السلام: ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة: ٣٢).

وقال الله العزيز الحميد سبحانه: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم

قالوا لا علم لنا إنك أنت علاّم الغيوب﴾ (المائدة: ١٠٩).
وقال الله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بعد ما استفتى الملك حاشيته ومَن حوله في رؤياه كان جوابهم: ﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ (يوسف: ٤٤).
وقال الله على لسان رسوله المصطفى الأمين عليه الصلاة والسلام: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ (ص: ٦٩).

١٠- الاستعانة بالقراءة، وبوسائل الكتابة كالقلم مثلاً؛ يقول الله العلي الأعلى سبحانه: ﴿اقرأ وربّك الأكرم. الذي علّم بالقلم﴾ (العلق: ٣، ٤).

١١- العناية بطلب الدليل، قال الله العلي الغفار سبحانه: ﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ (الأنعام:١٤٣)، وقال الله تعالى ذكره: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ (الأنعام: ١٤٨)، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾ (الأحقاف: ٤).

١٢- مصاحبة أهل العلم والتأدب في خطابهم، وفي قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام أن موسى عليه السلام طلب من الخضر عليه السلام مصاحبته حتى يتعلم منه، قال الله تعالى: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن ممّا عُلمتَ رُشدًا﴾ (الكهف: ٦٦).

القاعدة السابعة:

بيّن القرآن الكريم الآثار المترتبة على العلم، والنتائج المتوقعة على أهله؛ لتكون علامات هداية إلى من هم العلماء الحقيقيّون، وفرقانًا بين من يدّعي العلم ولا يعمل به، ولا يدعو إليه.

فكانت هذه الآثار على أهل العلم وخاصته:

١- الاتّصاف بالإيمان، وملازمته لوصف العلم: قال الله الحكيم العليم سبحانه: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ (الروم: ٥٦).

٢- خشية الله تعالى: يقول الله تعالى شأنه في وصف العلماء: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨).

٣- إخبات القلوب لله تعالى: قال الله البصير الخبير سبحانه: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنّه الحقّ من ربّك فيؤمنوا به فتُخبت له قلوبهم﴾ (الحجّ: ٥٤).

٤- الإكثار من السجود والتسبيح والبكاء والخشوع: قال الله العليم سبحانه: ﴿إنّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سُجدًا. ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولا. ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧-١٠٩).

٥- الاتّصاف بالربّانية: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩).

٦- الرسوخ في العلم: قال الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر الآيات المتشابهات من الكتاب: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربّنا وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب﴾ (آل عمران: ٧).

٧- رؤية الحقّ والهداية إلى الصراط المستقيم: يقول الله الحيّ القيّوم سبحانه: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ (سبأ: ٦).

٨- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب في ذلك: في قصة قارون قام العلماء ينكرون على من اغتر بحياة قارون ومتاعه، قال الله تعالى ذكره: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقاها إلا الصابرون﴾ (القصص: ٨٠).

٩- أنّ يُعلّمه الله ما لم يعلمه غيره: في قصة أصحاب الكهف لمّا اختُلف في عدّتهم، قال الله العليم الحكيم سبحانه: ﴿قل ربّي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلاّ قليل﴾ (الكهف: ٢٢)، وعلى أحد قولي أهل التفسير في علم تأويل المتشابهات من الكتاب أنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويلها بتعليم الله تعالى لهم، قال تعالى ذكره: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾ (آل عمران: ٧). فتقرأ بلا وقف.

القاعدة الثامنة:

كرّر القرآن الحكيم التحذير - بأسلوب مباشر وفي كثير من الأحيان بأسلوب غير مباشر - من محاذير عدّة أثناء طلب العلم والانتساب إليه، أجملها في النقاط التالية:

١- الحذر من القول على الله تعالى بغير علم: قال الله ربّنا الحليم سبحانه: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (الإسراء: ٣٦). وقال الله القويّ العزيز سبحانه: ﴿قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينـزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف: ٣٣).

وذكر الله سبحانه وتعالى أنّ وراء هذه الآفة الكبرى الشيطان، قال تعالى: ﴿إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ١٦٩).

٢- الحذر ممّن لا يعلمون، وعدم اتباعهم: في وصية الله تعالى لنبيّه موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى ذكره: ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ (يونس: ٨٩)، وقال الله علاّم الغيوب سبحانه: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ (الجاثية: ١٨).

وقد أكثر القرآن الكريم من ذكر الذين لا يعلمون، وأنهم أكثر الناس لنحذرهم، فآية: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ تكررت كثيرًا؛ في سورة الأنعام (٣٧)، والأعراف (١٣١)، والأنفال (٣٤)، ويونس عليه الصلاة والسلام (٥٥)، والقصص (١٣، ٥٧)، والزمر (٤٩)، والدخان (٣٩)، والطور (٤٧).

كما بيّن الله سبحانه وتعالى فئامًا وأنواعًا من هؤلاء الجاهلين الذين لا يعلمون؛ منهم:

أ- الأعراب (سكان البوادي): قال الله الخبير البصير سبحانه: ﴿الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ (التوبة: ٩٧).

ب- المشركون: قال الله العزيز الحكيم سبحانه: ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ (التوبة: ٦).

ج- المنافقون: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ (المنافقون: ٨).

د- من يطلب المعجزات تعجيزًا، وهو لا يريد الإيمان بها: قال الله الأحد الصمد سبحانه: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ (البقرة: ١١٨).

هـ- اليهود: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ومنهم أميّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أماني وإن هم إلاّ يظنون﴾ (البقرة: ٧٨).

٣- الحذر ممّن أضله الله على علم بعد أن اتخذ إلهه هواه: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ (الجاثية: ٢٣).

٤- الحذر من الفرح — بغير الحقّ — بما عند المرء من العلم، ونسبة ذلك إلى نفسه: يقول الله تعالى ذكره عن أمم سابقة: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ (غافر: ٨٣).

ويقول الإنسان الذي لا ينسب الخير والنعمة إلى المنعم الحقيقي بها، وهو الله تعالى شأنه: ﴿إنّما أوتينه على علم﴾ (الزمر: ٤٩)، وكذلك ما قال قارون من قبل: ﴿إنّما أوتيته على علم عندي﴾ (القصص: ٧٨)، ولا بد أن يوقن أحدنا مهما أوتي من العلم أنّه داخل تحت قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾ (الإسراء: ٨٥)، وأن يعلم ما قاله الله سبحانه: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ (يوسف: ٧٦).

٥- الحذر من التأخر أو التخلف عن العلم والتعلم حتى سنّ متأخرة: قال الله القدير سبحانه: ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر

لكي لا يعلم بعد علم شيئًا إن الله عليم قدير﴾ (النحل: ٧٠)، وقال سبحانه وتعالى في سورة الحجّ: ﴿لكيلا لا يعلم من بعد علم شيئا﴾ (الحجّ: ٥).

٦- الحذر من الخوض فيما ستر الله تعالى عنّا علمه، والتسليم بأنه مما استأثر بعلمه سبحانه: قال الله العظيم سبحانه: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾ (التوبة: ١٠١).

وقال الله القويّ العزيز سبحانه: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (الأنفال: ٦٠).

وقال الله سبحانه وتعالى في أربع آيات من كتابه: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة: ٢١٦، ٢٣٢)، وآل عمران (٦٦)، والنور (١٩). ويقول الله سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ (النحل: ٨). ويقول الله تعالى شأنه عن بعض أفعاله سبحانه: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ (الأعراف: ١٨٢)، والقلم (٤٤). وقال الله سبحانه: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تُنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ (يس: ٣٦). ونحن مع هذا كلّه لا نستطيع ولن نستطيع أن نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، ولن نحيط به سبحانه علمًا، قال الله تعالى شأنه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقال الله العلي سبحانه: ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾.

٧- الحذر من النتائج المترتبة على عدم العلم، والإعراض عنه: قال الله العزيز الحميد سبحانه: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ (الروم: ٥٩)، ويقول الله القادر سبحانه: ﴿وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ (التوبة: ٩٣)، وقال الربّ تبارك وتعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحقّ فهم معرضون﴾ (الأنبياء: ٢٤).

القاعدة التاسعة:

يبصرنا القرآن المجيد بأهميّة التوازن بين العلم والعمل، وذلك بالأمور الآتية:

١- بيّن القرآن الكريم أهميّة العلم — كما تقدّم بيانه من قبل — كما بيّن لنا أهميّة العمل في نصوص قرآنية؛ منها: قوله تعالى شأنه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: ١٠٥)، وقول الربّ الشكور سبحانه: ﴿اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ: ١٣).

٢- جمع الله تعالى بينهما في مواضع؛ منها: قوله تعالى: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله

واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ (محمد: ١٩)، ويُبدأ بالعلم قبل القول والعمل كما في هذه الآية، والله تعالى أعلم.

٣- قد يطلق لفظ العلم على العمل؛ لأنّ القيام بالعمل علم، وطلب العلم عمل، يقول الله البصير سبحانه: ﴿أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩). وقال الله سبحانه وتعالى في وصف نبيّه يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وإنّه لذو علم لما علّمناه﴾ (يوسف: ٦٨).

٤- اهتم القرآن الكريم بأمرين متعلقَين بالعلم والعمل، فأمّا في العلم فلا بدّ أن يكون نافعًا (غير ضار) — كما مرّ معنا سابقًا — والعمل لا بد أن يكون صالحًا: قال الله سبحانه وتعالى في الكلام عن السحر: ﴿ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم﴾ (البقرة: ١٠٢)، وفي قصة نبيّه نوح عليه الصلاة والسلام مع ابنه العاقّ أخبره الله تعالى ذكره بأنّه ﴿ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح﴾ (هود: ٤٦).

والخير كل الخير في الجمع بينهما، والعمل بهما جميعًا.

٥- تناول القرآن الكريم العتاب والترهيب لمن لم يعمل بعلمه، أو يعمل بغير علم: قال الله العزيز سبحانه: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة: ٤٤)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيّتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ (النساء: ٨١)، وقال الله تعالى ذكره: ﴿اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (الفاتحة: ٦، ٧)، وقال الربّ الأعلى سبحانه: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام﴾ (البقرة: ٢٠٤)، وقال الله العزيز الحكيم سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال: ٢٧)، وقال الله الواحد الأحد سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٢، ٣). وقال الله تعالى محذرًا من النصارى الضالين المضلّين الذين يعملون بلا علم: ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل﴾ (المائدة: ٧٧)، وقال الله العليم سبحانه: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ (الحجّ: ٣).

٦- يُفهم من بعض آيات الكتاب الكريم أنّ العلم يقتضي العمل؛ فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنّ أهل النار وهم يتخاصمون ويتجادلون فيها يقول

بعضهم لبعض: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ (إبراهيم: ٢١)، وقال الله تعالى ذكره: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجدًا﴾ (الإسراء: ١٠٧)، وقال الله العظيم سبحانه: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ (القصص: ٨٠).

وبعدُ؛ فهذه تسع قواعد وأصول علميّة قرآنية استخلصتها من آيات الكتاب العزيز، وما تركته من القواعد والأصول العلميّة كثير جدًا تراجع في مظانّها(٣٩).

المبحث الخامس
نماذج من أعلام علماء الإسلام

لا شكّ أن الأمّة الإسلاميّة على مرّ العصور وكرّ الدهور زاخرة بالعلماء الأعلام الذين طلبوا العلم لوجه الله تعالى، واجتهدوا في وجوه إتقانه، وأبدعوا في نشره وتعليمه وتبليغه، وجاهدوا في الله تعالى حتى هداهم إلى سُبُله سبحانه المفضيّة إلى الجنّة، وعبدوا الله تعالى حتى أتاهم اليقين، وتركوا لنا آثارًا محمودة، وتراثًا كبيرًا، وكتبًا نافعة، وعلمًا زاخرًا، فرحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وفي هذا المبحث أحاول أن أنتقي من علماء الإسلام بعض الأعلام الذين لهم دأبٌ في علوم كثيرة على مستوى الأمّة، فكأن الواحد منهم (موسوعة) في فنون مختلفة متنوعة، كما أن هؤلاء الأعلام – في الغالب – شاركوا في إصلاح هذه الأمّة على مستوى الدولة أو الأفراد، بُغيتهم رجاء ما عند الله تعالى من الأجر الجزيل والظفر بالحسنى والزيادة عليها. حشرنا الله تعالى معهم أجمعين. آمين.

النموذج الأول:

الصحابي الجليل عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وُلد بالشعب أثناء الحصار بمكة قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، صحب النبيّ صلى الله عليه وسلم نحوًا من ثلاثين شهرًا، وأخذ عن عمر وعليّ ومعاذ والعباس – والده – وأبيّ وزيد، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أشهر من أخذ عنه: مجاهد بن جبر وسعيد بن جُبير، وطاووس بن كيسان وعكرمة.

هو حبر الأمّة، وإمام التفسير، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح، وابن عباس هو ابن خالة خالد بن الوليد. دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين»(٤٠).

قال ابن أبي مليكة(٤١) رحمه الله تعالى: (صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل، وقرأ ﴿وجاءت سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد﴾، فجعل يرتل ويُكثر في ذلك النشيج).

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال لي معاوية بن أبي سفيان: أنت على ملّة عليّ؟ قلتُ: ولا على ملّة عثمان، أنا على ملّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال طاووس رحمه الله تعالى: (ما رأيتُ أحدًا أشدّ تعظيمًا لحرمات الله من ابن عبّاس).

وقال عمر لابن عباس رضي الله عنهم: (لقد علمتَ علمًا ما علمناه).

وكان عمر يستشيره في الأمر إذا أهمه، ويقول: (غصٌ غوّاص).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ولنعْم ترجمان القرآن ابن عباس).

قال عكرمة رحمه الله تعالى: سمعتُ معاوية يقول لي: (مولاك — والله — أفقه من مات ومن عاش).

وعن مجاهد رحمه الله أنّه قال: (كان ابن عبّاس يُسمّى البحر لكثرة علمه).

وابن عباس رضي الله عنهما قد فات الناس بخصال؛ بعلم ما سبق، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل، وكان يحدِّث القوم هذه العشية كلها في المغازي، والأخرى كلها في النسب، والتي تليها كلها في الشعر. فلله درّه رضي الله عنه.

قال طاووس: (أدركتُ نحوًا من خمس مئة من الصحابة إذا ذكروا ابن عباس، فخالفوه، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله).

وخطب ابن عبّاس - وهو أمير على الحاجّ - فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فكان بعض من حضر يقول: (ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجلٍ مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت).

وكان رضي الله عنه أسفل من عينيه مثل الشّراك البالي من كثرة البكاء.

ونزل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه على ابن عباس رضي الله عنهما بالبصرة، ففرّغ له بيته، وقال: لأصنعنّ بك كما صنعتَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: كم دينُك؟ قال: عشرون ألفا، فأعطاه أربعين ألفا، وعشرين مملوكا، وكل ما في البيت.

وقيل فيه بعد دفنه: (اليوم مات ربانيُ هذه الأمّة).

مات رضي الله عنه بالطائف سنة (٦٨هـ)، أو (٦٧هـ)، بعد أن أضرّ في آخر حياته، وعاش رضي الله عنه وأرضاه إحدى وسبعين سنة، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٦٠) حديثا [٤٢].

النموذج الثاني:

أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ مولاهم.

وُلد سنة (١١٨هـ)، وبدأ طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، أخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق

على الإخوان في الله تعالى، وتجهيزهم معه في الحجّ. من أبرز شيوخه: عاصم الأحول وحُميد الطويل وهشام بن عروة والأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاريّ وموسى بن عقبة والأوزاعي وأبو حنيفة والسفيانان والحمادان ومالك والليث بن سعد وغيرهم كثير.

وحدَّث عنه خلقٌ كثيرٌ؛ بعضهم من طبقة شيوخه كالثوريّ وعبد الرحمن بن مهدي، وحدَّث عنه: أبو داود الطيالسيّ وعبد الرزاق بن همام ويحيى القطّان ويحيى بن معين، وغيرهم ممن لا يُحصون.

ارتحل إلى الحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وخُراسان، وحدَّث بأماكن متعددة. وكان رحمه الله تعالى يُكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟

وعطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: أيشٍ يقول الرجل إذا عطس؟ قال: الحمد لله. فقال له: يرحمك الله.

وجمع رحمه الله تعالى الحديث والفقه والعربية وأيّام الناس، والشجاعة والسخاء والتجارة والمحبّة عند الفرَق.

وقدم هارون الرشيد الرَّقة، فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أمُّ ولد لأمير المؤمنين، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم خراسان قدم. فقالت: هذا - والله - المُلْك، لا مُلْكُ هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان.

وحدَّثَ بعضُ أصحابه رحمه الله تعالى عنه فقالوا: إنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يُطعمهم أحسن الطعام، وهو صائم.

وجاء رجل إلى ابن المبارك رحمه الله تعالى، فسأله أن يقضي دينًا عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال سبع مئة درهم. وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إنّ الغلاّت قد فنيت. فكتب له عبد الله بن المبارك: إن كانت الغلات قد فنيت، فإنّ العُمر أيضًا قد فني، فأجزْ له ما سبق به قلمي.

وقال الفضيل بن عياض لابن المبارك رحمهما الله تعالى: أنتَ تأمرنا بالزهد والتقلل والبُلْغة، وتراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا عليّ إنّما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربّي، فقال الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا.

وعُوتب ابن المبارك رحمه الله تعالى فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، فقال: (إنّي أعرف مكان قوم لهم فضل وصدقٌ، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجّة الناس إليهم، احتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثّوا العلم لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم).

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى: (الأئمة أربعة: سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك).

وكان يقال عنه رحمه الله: إنّه أنصح الناس للأمّة، وقيل عنه: إنّه إمام المسلمين أجمعين في عصره وزمانه.

ولما مات ابن المبارك رحمه الله تعالى قال هارون الرشيد: (مات سيّد العلماء).

وقيل: إذا رأيتَ رجلاً يعمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام.

وقيل له رحمه الله تعالى: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعدُ.

مات رحمه الله تعالى بالعراق في شهر رمضان سَحَرًا سنة (١٨١هـ)، وعاش (٦٣) سنة [٤٣].

النموذج الثالث:

العالم الجليل السيّد أبو الطيّب صدّيق بن حسن بن عليّ خان الحُسيني البخاري القنوجيّ.

وُلد في ولاية في شمال الهند عام (١٢٤٨هـ)، مات أبوه وعمره ستّ سنوات.

يقول رحمه الله: (لمّا بلغتُ السابعة من عُمري، وكان المسجد قريبًا من البيت، وأنا في نوم هادئ، فكانت أمي – رحمها الله – توقظني وتوضئني وتبعثني إلى المسجد، ولم تسمح أبدًا أن أُصلي في البيت).

بدأ دراسته في بلدته قنّوج، ثم سافر إلى مدن كثيرة طلبًا للعلم. فدرس الفقه والعربيّة وأصول الفقه والحديث وكتب الأدب والتفسير.

من أشهر شيوخه: المحدّث عبد الحقّ بن فضل الله البنارسيّ ومحمّد يعقوب الدهلوي ويحيى بن محمد الحازميّ والمفتي محمد صدر الدين.

تزوج بزوجتين؛ الأخرى منهما: ملكة بهوفال بالهند (شاه جيهان بيغم)، ولُقّب بأمير الملك. حاول بعضهم أن يدس له السمّ في الدسم ليقتله وزوجته الملكة، لكن الله عصمهما ونجّاهما، وكاد آخرون به حتى عُزل من منصبه بعد (١٤) سنة قضاهما في منصب الإمارة، ومنعُوه من مزاولة أيّ عمل حكومي، ثم أصابه مرض الاستسقاء، وردّت إليه الحكومة لقب (أمير الملك) وقد فارق الدنيا.

كان ذكيًا متقد الذهن، متواضعًا، مشغول الفكر بالمطالعة والتأليف، حتى كان في بعض الأحيان لا يميّز بين أنواع الطعام المختلفة، وكان يجاهر بالحقّ، لا يخشى في الله تعالى لومة لائم، وكان كثيرًا ما يجهر بأعلى صوته بحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» [٤٤]. وحديث: «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر» [٤٥]، وحديث: «من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده ...» [٤٦].

وكان رحمه الله تعالى حريصًا على نشر الكتب الدينية وتوزيعها، وخصوصًا كتب السنة النبويّة، فكتاب (فتح الباري) لابن حجر اشترى مخطوطته من اليمن بست مئة روبيّة أثناء سفره إلى الحجّ، ثم أمر بطبعها بمطبعة بولاق بمصر، وكان أنفق على طبع الكتب الدينيّة، ونشرها أكثر من (١٠٠،٠٠٠) روبيّة، ثم وزّعها في الهند وخارجها.

وجعل رحمه الله جوائز عدّة لمن يحفظ كتب السنّة النبويّة بمبالغ هائلة، وكان يدفع أموالاً تشجيعية، لمن يدافع عن السنّة، ويردّ على أهل البدع والأهواء.

وأسس رحمه الله تعالى مجلسًا علميًا مشتملا على كبار العلماء والفحول من الهند وخارجها، وعيّن المشايخ منهم في بعض المناصب المهمة.

كما أسس رحمه الله تعالى عدّة مدارس ومعاهد دينيّة وعصريّة بالهند.

وأنشأ رحمه الله تعالى مكتبات ومطابع عدّة بالبلاد. وقام رحمه الله تعالى بتأسيس مجلس الشورى، والمحكمة القضائيّة، ودار الإفتاء، والمحتسبين لتغيير المنكرات، وألغى الربا الرسمي للدولة، وأحل محله التعامل الشرعي، وقرر عطلة الجمعة والعيدين والعشرة الأخيرة من رمضان، وقضى على كثير من ظاهرة شرب الخمور والرقص والغناء والقمار، وأمر بالقضاء على غلاء المهور، وألزم النساء من الشعب بالحجاب الشرعي، وألغى حرفة البغاء، وحرر البغايا ممن يستغلونهن، وأصلح أمر الضرائب.

وبعد هذا تحولت مملكة بهوفال بالهند إلى مملكة إسلاميّة خلال بضعة عشر عامًا، فرحمه الله تعالى وتغمده بواسع مغفرته.

أُصيب في أُخريات حياته بمرض الاستسقاء، وكان صابرًا محتسبًا، ويُكثر من الدعاء بـ (يا أرحم الراحمين).

مات رحمه الله تعالى يوم الأربعاء سنة (١٣٠٧هـ)، وصلّى عليه خلق كثير في اليوم الثاني.

وقد صدر الأمر من الحكومة الإنجليزية المستعمرة أن يُشيّع ويدفن بتشريف لائق بالأمراء والأعيان، لكنه أوصى بأن يُدفن على طريقة السنة، فنُفذت وصيته عليه رحمة الله [٤٧].

النموذج الرابع:

الإمام الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز.

وُلد بالرياض عام (١٣٠٣هـ)، وحفظ القرآن الكريم مبكرًا، وأُصيب بمرض في عينيه عام (١٣٤٦هـ)، ثم ذهب جميع بصره عام (١٣٥٠هـ)، وعمره عشرون سنة تقريبًا.

له من الذريّة ثمانية. كان متواضعًا غاية في التواضع، حسن الهيئة، ولا يتكلف في ذلك أبدًا، له هيبة في قلوب العامّة والأمراء والعلماء.

امتاز رحمه الله تعالى بقوة الحافظة؛ فلا ينسى الأسماء والأحاديث. أصبح أكبر مفتيًا في الجزيرة العربية، بل على مستوى العالم الإسلاميّ.

كان زاهدًا في الدنيا، معينًا للفقراء، يُكثر من الصيام وقيام الليل، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، مصلحًا، محتسبًا، كان صادق اللهجة والحديث، وكان حليمًا صبورًا، وتولى القضاء بُرهة من الزمن بمدينة الدِّلم بنجد. دخل عليه رحمه الله تعالى رجل مجلس القضاء في الدِّلم فأكثر السباب، وسبّ الشيخ وشتمه، والشيخ لا يردّ عليه، ثم إنّ هذا الرجل توفي، والشيخ ابن باز في الحجّ بمكة، فلم يصل عليه إمام الجامع ابن هليل؛ لأنّه شتم الشيخ ابن باز، وأمر الناس أن يصلوا عليه، فلما قدم الشيخ ابن باز علم بالأمر ترحّم على الرجل، وخطأ الإمام ابن هليل، ثم طلب أن يَدُلّوه على قبر الرجل، فذهب فصلى عليه وترحم عليه ودعا له - كما هي السنة لمن لم يدرك الصلاة على الجنازة -.

وكان الشيخ سخيًا جدًا.

من أبرز شيوخه: محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، وسعد بن حمد بن علي بن عتيق، وحمد بن فارس بن محمد بن فارس، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

ومن أشهر تلامذته: راشد بن صالح بن خنين، وعبد الله بن سليمان المسعري، وعبد الله بن حسن بن قعود، وعبد الرحمن بن ناصر البراك.

ألّف الرسائل للأمّة جميعًا، وقد طبعت ونشرت بلغات كثيرة.

كانت له رحمه الله تعالى جهود كثيرة في الإصلاح في البلاد؛ فشارك في القضاء، والتدريس بالمعاهد والكليات والمساجد، بكل مكان ينـــزل فيه، أو مدينة يرحل إليها، تولّى إدارة ورئاسة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة، وعمل رئيسًا لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، كان يكفل كثيرًا من الدعاة في بلاد العالم كلّه على حسابه الخاصّ، يُشارك في إلقاء الدروس والمحاضرات، والتعليق على الندوات، ويشارك في الإجابة على الفتيا عبر الإذاعة والمساجد وأيام الحجّ والمواسم. وكان يُشارك في اجتماعات ولقاءات علماء البلاد الإسلاميّة بمكة والمدينة.

كان له زادٌ يومي لا يفتر عنه من الأذكار النبويّة، وكان يلحظ من يحدّثه أن الشيخ رحمه الله تعالى كان يستمع إليه، وهو يسبح أو يستغفر.

مات رحمه الله تعالى متأثرًا بمرض السرطان عام (١٤٢٠هـــ)، وصُلّي عليه بالمسجد الحرام، ودُفن بمكة فرحمه الله تعالى عليه [٤٨].

وبعدُ؛ فهذه النماذج لبعض علماء الإسلام في العصر القديم والحديث، أردتُ أن تحيي الأمل في هذه الأمة بوجود أمثال هؤلاء النوابغ المهتمين بالعلم، المتواصلين بأهل العلم، الساعين إلى الإصلاح في الأرض. جمعنا الله تعالى بهم أجمعين.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعدُ؛

فهذه آخر مرحلة أضع فيها قلمي - بإذن الله تعالى - راجيًا الله الكريم المنان سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يثبتنا على الحقّ المبين والصراط المستقيم، وقد من خلال البحث ما سعى إليه الباحث من خلال النتائج والآثار التاليّة:

١- تعريف العلم لغة واصطلاحًا وتعريفًا يقرِّبه إلى الأذهان، وما هي استعمالاته في القرآن الكريم.

٢- بيان أنواع العلم وأقسامه من حيثيات ثمانية.

٣- بيان منـــزلة العلم الرفيعة في الإسلام، وأنّ العلم وطلبه من أجلّ الأعمال الصالحة في ميزان الإسلام.

٤- بيان مكانة العلماء العريقة في الإسلام، كيف لا، وهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٥- استخلص الباحث تسعًا من القواعد والأصول العلميّة من القرآن الكريم لها أثرها على العلم والعلماء والحيّاة.

٦- اختار الباحث أربعة نماذج من علماء الإسلام قديمًا وحديثًا، فعرض شيئًا من سيرهم، وهم الذين أسهموا في نشر العلم وتبليغه للأمّة، وسعوا في الأرض إصلاحًا احتسابًا لوجه الله الكريم المنان سبحانه.

وعند الختام أوصي بالعناية والاهتمام بـــهذا الموضوع، كما اهتم الإسلام به، وذلك بالدراسة العميقة المتخصصة في فنون العلم بأقسامه المتعددة، كما أوصي بالعناية بجيل الشباب الصاعد، وتربيتهم التربية المتكاملة؛ ليكون منهم العلماء الأفذاذ.

وأخيرًا؛ فأوصي بتشجيع نشر العلم وتبليغه، ومساندة أهله في مثل هذه المؤتمرات والندوات.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والله تعالى أعلم.

الهوامش

(١) انظر: الجوهري: إسماعيل بن حمّاد، الصحاح (٥/١٩٩٠، ١٩٩١: علم).

(٢) انظر: السمين الحلبي: أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/٥٨٠-٥٨٢: علم).

(٣) انظر: ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (٢/٧٨٧).

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضّل، مفردات القرآن (مادة: علم).

(٥) انظر: ساجقلي زاده: محمد بن أبي بكر، ترتيب العلوم (ص ٨٤، ٨٥).

(٦) انظر: الغزالي: محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (١/٥٢-٢٧).

(٧) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (٢/٧٨٨/٧٨٩).

(٨) انظر: الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات (١/١٠٧-١٢١).

(٩) انظر: الغزالي، المستصفى من علم الأصول (١/٧٦، ٧٧).

(١٠) انظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (ص ٣٣٠، ٣٣١).

(١١) انظر: الراغب، مفردات القرآن (ص ٥٨١).

(١٢) انظر: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ (٣/١٣٦).

(١٣) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (١/١١).

(١٤) انظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن (٤/٢٠٥٦).

(١٥) انظر: أبا حيّان الأندلسي، البحر المحيط (٧/٤٠٢).

(١٦) حديث حسن الإسناد، رواه الطبراني في الصغير رقم (٢٢)، والأوسط رقم (٢٠٢٩). وانظر: كتاب تخريج مشكلة الفقر للألباني (ص ٥١-٦١).

(١٧) انظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (١/١٧٠).

(١٨) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري رقم (١٧، ٣١١٦، ٧٣١٢). وصحيح مسلم رقم (١٠٣٧)

(١٩) رواه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

(٢٠) رواه مسلم في صحيحه (١٦٣١).

(٢١) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١/٧٣).

(٢٢) هو مطرِّف بن عبد الله الشِّخِّير العامري الحَرَشي، أبو عبد الله البصري، ثقة عابد فاضل، من الثانية، مات سنة خمس وتسعين. انظر: تقريب التهذيب (٦٧٥١)

(٢٣) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١/١١٦).

(٢٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال: وُلد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: التقريب (٥٥٥٣)

(٢٥) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١/١١١).

(٢٦) انظر: المرجع السابق (١/١١٩).

(٢٧) انظر: المرجع السابق (١/١٢٤).

(٢٨) رواه ابن المنذر. انظر: السيوطيّ، الدرّ المنثور (٨/٨٣).

(٢٩) رواه ابن جرير في تفسيره جامع البيان (١٠/٤٠٩).

(٣٠) انظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (١٠/٢٥٦).

(٣١) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري رقم الحديث (٣٥٨٨، ٣٤٩٣، ٣٤٩٦). وصحيح مسلم (٢٥٢٦، ٢٦٣٨).

(٣٢) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري رقم الحديث (١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦). وصحيح مسلم (٨١٦).

(٣٣) حديث صحيح، رواه الترمذيّ في سننه (٢٣٢٢)، وقال: (حسن غريب)، وابن ماجه (٤١١٢).

(٣٤) حديث حسن، رواه أبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢).

(٣٥) رواه الدارمي (١/٧٨).

(٣٦) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١/٢٣٦).

(٣٧) انظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (١/٣٦).

(٣٨) انظر: البغوي، شرح السنة (١/٣١٧).

(٣٩) انظر: على سبيل المثال: الشاطبي، الموافقات (١/١٥-١٦٦)، والغزالي، إحياء علوم الدين (١/٢٣-١٠٧)، وطاش كبرى زاده، مفتاح دار السعادة (١/١٧-٧٦)، وابن عبد البر، جامع بين العلم وفضله (١/٥٣٠-٥٣٧، ٧٤٧-٧٥٠، ٢/٨٩٨-٩١٢، ١٠٨٧-١١١٩). وانظر: مقدمة سنن الدارمي، ومقدمة سنن ابن ماجه. وانظر: كتاب

الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل، والفقيه والمتفقه له (٢/١٤٩-٢١٥). وانظر: كتاب المقدّم: محمد أحمد إسماعيل، الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام.

(٤٠) حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده (١/٢٦٦، ٣١٤).

(٤١) هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُلَيكة – بالتصغير – ابن عبد الله بن جُدعان، يقال: اسم أبي مُلَيكة: زهير التيمي، المدني، أدرك ثلاثين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومئة. انظر: تقريب التهذيب (٣٤٧٧)

(٤٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣/٣٣١-٣٥٩). وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٣٣٠) وما بعدها. وابن كثير، البداية والنهاية (٨/٢٩٥) وما بعدها.

(٤٣) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (١٠/١٥٢) وما بعدها. والذهبي، سير أعلام النبلاء (٨/٣٧٨) وما بعدها. وابن الجوزيّ، صفة الصفوة (٤/١٣٤) وما بعدها.

(٤٤) حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده (٥/٦٦).

(٤٥) حديث صحيح، رواه أبو داود في سننه (٤/٥١٤)، والترمذيّ في سننه (٤/٤٧١)، وقال: (حديث حسن).

(٤٦) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١/٦٩).

(٤٧) انظر: أختر جمال لقمان، السيّد صديق حسن القنوجي، من (ص ٢٥) وما بعدها. وأبا نصر سيّد محمد علي، مآثر الصديقي.

(٤٨) انظر: الرحمة: عبد الرحمن بن يوسف، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، (ص٢٦-٤٦٠). وانظر: الششري: د. حمد ابن إبراهيم، الإبريزيّة في التسعين البازيّة (ص١٩-١٩٢).